

## المحاضرة السادسة (فلسفة افلاطون السياسية)

يعد افلاطون وأرسطو هما أعمق الفلاسفة اثراً قديماً ووسيطاً وحديثاً .وأفلاطون هو اعظم اثرا من ارسطو في العصور التي جاءت بعدهما لسببين رئيسين :أولهما أن ارسطو نفسه نتيجة تفرعت عن افلاطون ، وثانيهما أن اللاهوت المسيحي والفلسفة المسيحية - على الأقل حتى القرن الثالث عشر- كانا أكثر اصطباغ بالأفلاطونية منها بالأرسطية ، فمن الضروري ، أذن ، في تاريخ الفكر السياسي أن تعالج افلاطون - ومن بعد ارسطو - معالجة أوفي مما نعالج به أي فيلسوف آخر ممن سبقوهما أو لحقوهما .يعتبر افلاطون ألمع تلاميذه سقراط لنقلها الفكرة الأساسية التي سيطرت دائما على فلسفته السياسية وهي أن الفضيلة هي المعرفة .وأمتنع (افلاطون (عن أخذ الأجر عن التعليم اتباعا لسنة استاذة (سقراط (الذي كان يرى أن المعرفة لاتعلم بل تتكشف للانسان من باطن النفس ، أو أن العلم تذكر وان الجهل نسيان ، فكيف يتقاضى المعلم اجرة على شيء لايملكه ولا يمنحه .كما تأثر أفلاطون بأسلوب سقراط في البحث عبر الحوار التشكك المتهمك وادعاء الجهل حتى يصل إلى مبتغاه ، بل لقد جعل من سقراط قطب المحادثات وصاحب القول الفصل في كل موضوع يطرح خلالها .ولعنا لانجافي الحقيقة اذا قلنا ان محاورات افلاطون تكاد تشهد على عظمة سقراط في إيقاظ الروح والحماس للمعرفة والفضيلة في نفوس شباب عصره ، وأفلاطون وكتاباتة دليل كاف

افلاطون فيلسوف إغريقي من مدينة اثينا ولد في القرن الخامس ق.م من أسرة أرستقراطية من أركان السلطة في أثينا ولم يعرف تاريخ مولده بدقة (بين أعوام 429 427 ق .م ،) وهو من أبرز تلامذة سقراط والمتأثرين به فكرة وأسلوبا ، أخذ عنه فكرة الفضيلة هي المعرفة ، ونقده للنظام الديمقراطي وأسس ومبادئه ، واعتقاده بعدم تساوي البشر ، وتفضيله حكم الفيلسوف المطلق /سلطة الحاكم المستبد المستنير ، وتابعه في أسلوبه التشكيكي الساخر واستنباطه للأفكار عن طرق الحوار . تأثرت أفكاره بحياة أستاذه سقراط وموته المأساوي وما عاصره من أحداث حروب البيلوبونيز بين إسبرطة وأثينا والتي انتهت بهزيمة هذه الأخيرة وتحرك الأرستقراطية الأثينية لإقامة نظام جديد خضعت أثينا في ظله لحكم 30 طاغية حاولوا إزالة جذور نظامها الديمقراطي السابق وآثاره .

وعندما فشلوا في ذلك ، لجئوا إلى العنف والقسوة في التعامل مع مواطنيهم الذين عاشوا في هذه المرحلة عهداً من التطرف والعنف الأرستقراطي لم يختلف كثيراً عن عهد التطرف والعنف الديمقراطي الذي سبقه ، فلا الديمقراطية سلكت سبيلا سوية ولا الأرستقراطية فعلت ذلك ، ولأن أفلاطون عاش العهدين وادرك سلبياتهما ، فقد نقم عليهما وإن كانت لنقمته أسباب مختلفة بالنسبة لكل نظام منهما .رحل أفلاطون عن أثينا بعد موت سقراط متوجها إلى (سرقوسا سرقسطة (في عهد طاغيتها (ديونيسيوس (الذي تخوف لاحقا من أفكار أفلاطون فتخلص منه ببيعه في سوق الرقيق كما يباع العبيد لولا أن أنقذه أحدهم بان اشتراه وأعتقه .فقد اخفق افلاطون في أن يقيم دولته المثالية المتشددة في تطبيق آرائه في بيئة تعجز عن استيعابها ، ولعدم ايمان الملك الشاب ( ديونيسيوس (بجدوى الحكمة المجردة ،لقد دفع هذا الفشل افلاطون للعودة إلى اثينا والشروع في تكوين مدرسته الفكرية وأنشا مدرسة في مكان يحمل اسم أحد الأبطال اليونانيين أكاديمس (فعرفت مدرسته باسم (أكاديمي أو الأكاديمية )، وكان يعلم التلاميذ في مدرسته دون أجور .تفرغ أفلاطون في هذه المرحلة للتفكير والتأليف والتعليم ، ولم يغادر أثينا بعد ذلك إلا مرتين قصيرتين حاول فيهما دون نجاح ، أن يعثر على فرصة جديدة لتطبيق الأفكار التي آمن بها ودعا إليها .وكانت تلك ، (الرحلتان إلى (سرقوسا /سرقسطة (أيضا ، ولكن هذه المرة بدعوة من (ديونيسيوس الابن (الذي تولى حكمها بعد والده ، وظن أنه يريد تطبيق أفكار أفلاطون السياسية وبناء دولة المدينة المثالية ، لكنه لم يحتمل تلك الأفكار طويلا ، فحاول البطش بأفلاطون الذي سارع في العودة إلى أثينا .وكرر (ديونيسيوس الابن (بعد سنوات دعوته لأفلاطون مرة أخرى ، ولم تكن النتائج بأفضل منها في المرة الأولى ،فكان ذلك اخر عهد افلاطون بالسياسة

كتب افلاطون العديد من المؤلفات التي اتخذت صورة المحاورات ،وغلب على اكثرها الطابع السياسي ،اشهرها (الجمهورية ،السياسي وتسمى أحيانا رجل الدولة ، القوانين (وهي تتابع زمنيا تعبيراً عن مراحل حياة أفلاطون الزمنية والفكرية المتعاقبة ، وتجسيدا للتطور الحاصل فيها من كتاب مرحلة الشباب (الجمهورية (إلى كتاب الرجولة والنضج (السياسي /رجل الدولة (فكتاب الشيخوخة والحكمة (القوانين . (ومنها ومن أعمال أفلاطون الأخرى نستمد معرفتنا بأفكاره ونحدد طبيعة إجابته عن الأسئلة المتعلقة بالظاهرة السياسية ، وهي أفكار وإجابات كان محورها دائما فكرة

أستاذه سقراط "الفضيلة هي المعرفة والمعرفة هي الفضيلة التي آمن بها أفلاطون أيضا وتبناها جاعلا منها الأساس الذي بني عليه أفكاره في النطاقين الفلسفي والسياسي حتى لم يعد بالإمكان الفصل بين هذين الفيلسوفين على المستوى الفكري لانطلاقهما من هذه الفكرة واستنادهما إليها من جهة ، ولأن أفلاطون من جهة ثانية وضع مؤلفاته في صورة محاورات كان سقراط المحاور . والمتحدث الأول فيها

لقد كان اجتماع أفلاطون بسقراط نقطة تحول في حياته ، فقد نشأ أفلاطون في جو مريح وربما في جو من الثروة ، وكان شابا وسيماً وعنيفاً ، وسمي أفلاطون على ما يقال بسبب عرض كتفيه ، وكان جندياً فائقاً وبارزاً ، ونال الجائزة مرتين في الألعاب ، لم تجر العادة أن ينشأ الفلاسفة في مثل هذه السن من المراهقة ، ولكن روح أفلاطون الداهية وجدت بهجة جديدة في لعبة سقراط المنطقية الجدلية ووجدت لذة لرؤية السيد سقراط يدحض البراهين والاعتقادات ويخترق الفرضيات بأسئلته الحادة . ، ودخل أفلاطون إلى هذه الرياضة التي كانت أشد خشونة من المصارعة . وراح تحت رعاية سقراط وإرشاده ينتقل من مجرد النقاش إلى تحليلات دقيقة ومحادثات مثمرة ، وأصبح مشغوفة بالحكمة وبمعلمه سقراط ، واعتاد أن يقول أشكر الله الذي خلقتني يونانياً لا بربرياً ، حراً لا عبداً ، رجلاً لا امرأة ، ولكن فوق الجميع أ ولدت في عصر سقراط لقد كان في الثامنة والعشرين عند موت سقراط ، وترك هذا المصير المحزن أثره على كل تفكير التلميذ ، وملاه احتقارا للديمقراطية وكرهية للجماهير والجموع التي ولدتها في نفسه نشأته الأرستقراطية ، وساقه إلى قرار يستدعي ضرورة القضاء على الديمقراطية واستبدالها بحكم الأعتق والأفضل من الرجال . وقد أمضى حياته وعمره باحثاً عن وسيلة تهديه إلى اكتشاف أعتق الرجال وأفضلهم ، وإقناعهم وتمكينهم من الحكم ، والاجتماع والتعاون لتتضافر جهودهم وتتكامل أدوارهم في إطار نظام مجتمعي متوازن أساسه التخصص وتقسيم العمل الإنجاز الواجبات وتحقيق الأهداف . حيث يقدم كل فرد في هذا النظام المجتمعي التعاوني المتكامل أفضل ما لديه ليحصل من الآخرين على أفضل ما لديهم ، فيحصل الجميع على الأفضل من ، الجميع ، ولكن اجتماع الناس وتعايشهم معا وتعاونهم ، يحوجهم إلى إدارة شؤونهم وتنظيم علاقاتهم وتفاعلاتهم ليس داخليا فحسب ، بل وخارجيا أيضا ، ولأن وظيفة إدارة المجتمع وتوجيهه هي الأساس والمنطلق لكل الأعمال الأخرى فيه والمحدد لطبيعتها وأهدافها ، توجب أن يكون ما يقدم في

نطاقها هو أفضل الأفضل . فإذا كانت الفضيلة هي المعرفة والمعرفة هي الفضيلة ، كان أفضل من يتولى مهمة إدارة الشأن السياسي في الدولة أكثر أفرادها معرفة لأنهم أعرفهم بأفضل سبل الإدارة السياسية وأعلمهم بمثال الخير الأسمى ونموذج الفضيلة الأرفع وأقدرهم على تحقيقه وتجسيده وهؤلاء . هم الفلاسفة

وفي الوقت ذاته فإن جهوده في محاولة إنقاذ حياة سقراط أثارت الريبة والشك حوله من جانب الزعماء الديمقراطيين ، وحثه أصدقاؤه على مغادرة أثينا التي أصبحت إقامته فيها محفوفة بالأخطار ولم تعد مكان أمن له . وكانت هذه فرصة مناسبة له تمكنه من مشاهدة العالم ، وهكذا سافر في عام 499 قبل الميلاد (والواقع أننا لا نستطيع أن نقول أين ذهب في رحلته ، هذه على وجه التحديد ، وهناك خلاف العلماء حول كل مرحلة من رحلته ، ويبدو أنه قد سافر أولاً إلى مصر وتأثر عندما طبقة الكهنة التي كانت تحكم مصر يومئذ أن اليونان دولة وضيعة تنقصها التقاليد الثابتة والحضارة العميقة ، وكان فلاسفة النيل في ذلك العهد لا يعيرون اليونان أهمية بالغة أو اهتماماً جدياً ولكن لا شيء يعلم الإنسان أكثر من الصدمات واهتزاز المشاعر ، أن ذكريات هذه الفئة المثقفة ، المستنيرة التي كانت تحكم شعباً زراعياً ساكناً بقيت حية في تفكير أفلاطون ، ولعبت دوراً في كتابه عن الدولة الفاضلة المثالية ، ثم أبحر إلى سقلية ومرة ثانية تأثر عقله بذكرى جماعة صغيرة من الرجال أنصرفت للعلم والحكم ، تعيش عيشة بسيطة على الرغم من أن سلطة الحكم كانت في يدها لقد تجول اثنتي عشرة سنة ، متذوقاً كل شريعة وقانون ، وقد ذكر البعض أنه ذهب إلى فلسطين . وانعجن فترة من الوقت في طينة الأنبياء الذين كان معظمهم من الاشتراكيين ، وعاد إلى أثينا في عام إنه الآن رجل في الأربعين من عمره ، وقد اكتملت رجولته ، ونضجه . ( قبل الميلاد 387 ) باختلاطه بشعوب مختلفة ، وامتصاصه الحكمة كثيرة ، لقد فقد القليل من حماسة الشباب الحارة ، ولكنه اكتسب أفكاره ومشاهدات تعتبر كل تطرف واندفاع نصفاً للحقيقة فقط . لقد اكتسب معرفة وفناً ولأول مرة يعيش الفيلسوف والشاعر معا في شخص أفلاطون وروحه ، وابتدع لنفسه وسيلة في ، التعبير أعظم وجد الجمال والحقيقة فيها مكانة لهما ، ومسرحاً لتوجيه الحوار .

دعنا نعترف أيضا أن أفلاطون تتوفر فيه بكثرة الصفات التي ينتقدها ويقر عنها ، فهو ينتقد ويهاجم الشعراء وأساليبهم الخرافية الوهمية ، ولكنه هو نفسه شاعر وبذلك يضيف شاعراً إلى الشعراء ومئات من الأساطير والخرافات .إنه يشكو من الكهنة ورجال الدين الذين يواصلون التخويف من ، جهنم ويقدمون طريقة الخلاص والغداء من الخلايا والذنوب (كما جاء في كتابه الجمهورية صفحة ) 364 ذلك فقد كان كاهنا و واعظا وأخلاقيا مثاليا .وهو يعترف مثل شكسبير بأن المقارنة ليست ( 364 سوى مراوغة ، ولكنه يراوغ من واحدة لأخرى ، وأخرى ، وأخرى .إنه يقرع السفطانيين ويتهمهم في تجارة الكلام والعبارات ، وهو نفسه لا يرتفع عن تقنيت المنطق وتحويله «أن الكل أعظم من الجزء بالتأكيد والجزء أقل من الكل نعم ..لذلك يتضح وجوب حكم الفلاسفة الدولة .ولكن هذا هو » أسوأ ما يمكن أن نقوله في أفلاطون ، وبعد ذلك نقول أن المحاورات الأفلاطونية ستبقى إحدى الكنوز الثمينة في العالم ، وأفضلها كتاب الجمهورية ، وهو كتاب تام في حد ذاته ، حيث نجد في هذا الكتاب المجاز الأفلاطوني وعلمه اللاهوتي ، وفلسفته الأخلاقية الأدبية والنفسانية ، وفنه التعليمي وسياسته ، ونظريته في الفن ، هنا في كتاب الجمهورية نجد المشاكل التي تواجه العالم اليوم ، من الشيوعية إلى الاشتراكية ، ومبدأ مساواة المرأة بالرجل في الحقوق ، وتقييد النسل ، وعلم تحسين النسل والمشاكل التي أثارها نيتشه الفيلسوف الألماني حول علم الأخلاق والحكومة الأرستقراطية .والمشاكل التي بحثها روسو الفيلسوف الفرنسي حول العودة في حياتنا إلى الطبيعة . وحرية التعليم . هنا نجد برجسون وفرويد كل شيء موجود في هذا الكتاب